

التطور التاريخي للديمقراطية والحريات في الحضارات والمجتمعات القديمة

١- حضارة وادي الرافدين :

بدأت مظاهر التطور الحضاري في وادي الرافدين (العراق القديم) في حدود الالف الثاني قبل الميلاد من خلال اختراع الاله واكتشاف المعادن وتأسيس علوم كثيرة منها الفلك والرياضيات وعلوم ما وراء الطبيعة وابتكار الكتابة الصورية والمسمارية على الالواح الطينية .

وقد تطورت أنظمة الحكم واسست دويلات المدينة التي تقوم على نظرية الحق الالهي في الحكم فالملك والكاهن هما صاحبي الحق الالهي في ادارة البلاد ، فكانت حضارة وادي الرافدين من الحضارات المتطورة التي اعتمدت على القانون المكتوب في تنظيم العلاقة بين ابناء الشعب وتحديد ما للمواطن من حقوق وما عليه من واجبات الا انه من سلبيات ذلك ان الكاهن والملك فوق القانون ومن ابرز هذه القوانين هو قانون حمورابي .

والتطور الذي حصل هو تكون مجلسين للحكم مجلس الشيوخ ومجلس الشباب حيث يتم اتخاذ القرار بالاجماع ومن ثم اصبح الحكم وراثي ومن ديمقراطية بدائية الى حكم وراثي مستبد وتشير الدراسات الى ان كلمة حرية وردت في نصوص سومرية على الالواح الطينية وهذا دليل على تخليص الانسان وتحريره من الظلم الواقع عليه وبذلك وضع العراقيون القدماء الاصلاحات والقوانين التي تحفظ للفرد حقوقه وحرية .

٢- حضارة وادي النيل:

تعد حضارة وادي النيل من الحضارات القديمة التي وصلت الى مراحل متقدمة وفضلا عن اتقانهم عدة علوم كانت لديهم الاسبقية في صناعة ورق البردي الذي افادوا منه في الكتابة وقد تنوعت انماط الحكم فيها وكانت على مراحل :

❖ عهد الفراعنة : مر هذا العهد بثلاث مراحل (مرحلة الدولة الفرعونية القديمة والوسطى والحديثة) وتطورت الحضارة المصرية فتوصل المصريون الى الكتابة الهيروغليفية وكان نظام الحكم ملكيا مطلقا فأبتدأ الملوك بحكم شعب مصر وفق نظرية انهم ابناء الالهة وتطور الامر فنصب الفرعون نفسه اله واجب الطاعة معتقدين بان ارواح الالهة قد حلت بجسد فرعون وكان للكهنة دور في تأكيد تلك الفكرة وكان الحكم ينتقل بالوراثة وكانت الاهرام دليل على ظلم الفراعنة للمصريين فهي في اعتقادهم منازل الفراعنة في الحياة الاخرى فقد جندوا انفسهم في بناء الاهرام طوعا للحصول على الثواب الجزيل من الفرعون .

اما الدولة الفرعونية الوسطى فقد شهدت بعض التطور في ميدان الحقوق والحريات العامة فقد تنازل الفراعنة فيها عن فكرة الوهية البشر بل نصبوا انفسهم ملوكا على البشر وهم عباد الله شأنهم شأن عامة الناس فقد ظهرت طبقة من اعيان القوم كان لها الفضل بالمشاركة في الحكم من خلال ما تقدمه من مشورة للملك . وفي العهد الحديث للفراعنة عاد نظام الحكم الى اوله وهو بتتصيب الملك نفسه اله وهو المشرع الوحيد للقوانين والمنفذ لها .

٣- العهد اليوناني :

ان العهد اليوناني هو النقطة المرجعية لنشأت موضوع الحريات اذ ان مستوى التنظيم كان جديدا وعدد السكان قليلا مما سمح لهم في تسيير الشؤون العامة بشكل مباشر ، فقد كانت الديمقراطية السياسية اليونانية مقتصرة على الطبقة الارستقراطية .

٤ - العهد الروماني :

قبل ان تصبح روما امبراطورية اخذت تتقبل تعاليم الفلسفة اليونانية وان الحضارة الرومانية لم تكن في حاجة الى اعتناق فكرة الحرية السياسية بمعناها اليوناني لكن بذور الحرية بمفهومها العصري بدأت منذ العهد الروماني من خلال الاقرار بالانسان وشخصيته اذ نجد ان اليونانيين عرفوا الحرية بمفهوم فلسفي والدولة هي كل شيء اما الرومان فعرفوا الحرية بالاجتهاد القانوني اذ اصبح الفرد له الحرية في انشاء العقود والتعاقد .

الديمقراطية والحريات العامة في العصور الوسطى

تميز هذا العصر بالسيطرة الاقطاعية فكانت الحرية للتجمعات واهملت الحريات الفردية فأصبحت مكانة الفرد تقاس بحرفته ومهنته .

ففي عصر الدين الاسلامي اكد ان الامه هي الاساس وهي مصدر السلطة وهذه الامه تقوم على فكرة المساواة والشريعة الاسلامية وهي ان تحدد لكل حقوقه ومسئوليته فالفكر الاسلامي يقوم على اساس ان الامه طبقة واحدة وكذلك يؤكد على الشورى وان الحريات العامة تستند الى القانون والاخلاق من خلال دستور الاسلام وهو القران الكريم الذي اكد ان الحرية بصفة عامة ما هي الا فطرة كرسها الدين الاسلامي فهي تستهدف ضمان شرف وكرامة الانسان والغاء كل استغلال له وكلها مرتبطة بوجود الله الذي هو صانع التشريع ومصدر الحقوق .

وهناك الكثير من الحريات اكدها الدين الاسلامي منها :

١- الحرية الدينية / فقد شدد الدين الاسلامي على الحرية الدينية وان يتحرر العقل البشري من كل الخرافات والاهام وتحرير الانسان من التقليد من خلال استعمال عقله للتأمل في خلق السماوات والارض وفي نفسه وما يحيط به من الكون ، فقد استطاع الدين الاسلامي ان ينزع الاحقاد الدينية من عقول وقلوب متبعيه فأعطى بذلك مثالا نموذجيا للتعايش وكانت الحرية الدينية من الصفات البارزة التي جاءت بها الشريعة الاسلامية فقد اكد الاسلام على حرية العقيدة (لا اكراه في الدين) .

٢- الحرية العلمية : ان الدين الاسلامي فتح افاق الكون كله امام العقل الذي استطاع بهذا الجو العلمي الحر ان ينطلق في ميادين الادب والفلسفة والعلوم كما اطلق الاسلام العقل الانساني في هذا الجو العلمي الحر لذلك كثرت المدارس الفكرية وتتنوع الحلقات العلمية التي كانت تنمو في حماية الاسلام في كل نواحي العلوم وفروعها مما كان له الاثر في ازدهار العلوم والاداب.

٣- الحرية السياسية : هي جزء اساسي من الحرية الانسانية والتي تتجلى في حرية اختيار رئيس الدولة فكانت البيعة العامة والخاصة وحرية ابداء الرأي والشورى لرئيس الدولة وحرية نقد الحاكم في حدود الادب الاسلامي والمصلحة العامة كما تعد الشورى التي اقراها الاسلام كنظام للحكم الديمقراطي فالشورى تتفق مع الديمقراطية في اشراك الحاكم والمحكوم في مسؤولية الحكم وتختلف معها بأن الشورى مفهوم الهي يقوم على الدين والشرع في حين ان الديمقراطية تقوم على اسس قانونية مبنية على مصالح الحاكم والمحكوم .

٤- الحرية المدنية : ونعني بها حرية الفرد في اختيار العمل الذي يريده واختيار البلاد التي يريد ان يتعلم فيها ولا تتدخل الدولة الا عند الضرورة .

٥- الحرية الاجتماعية : وهي حرية النقد الاجتماعي لكل من تؤهله كفاءته وعلمه وهذا ما يسمى ب(الامر بالمعروف والنهي عن المنكر) وهذا ما امر به الله تعالى في كتابه الكريم .

٦- الحرية الفكرية : فقد اكد الدين الاسلامي حرية التفكير وذلك لقدرة العقل البشري على ذلك فالاسلام لا يلوم على حرية الفكر بل يلوم على الغفلة فأوجب الدين الاسلامي على كل مسلم التفكير وتحريك وتشغيل العقل فلا مانع من الاجتهاد في الفكر والاختلاف في الرأي فالاسلام والديمقراطية يحققان هدف واحد هو سعادة الانسانيه وامنها وسلامتها .